الأستاذ: بوجنان محمد الأمين
كلية :العلوم الاجتماعية والإنسانية
مقياس: إشكالات الفكر العربي
قسم : الفلسفة
المستوى : السنة الثالثة ليسانس
السداسي: السّادس
السنة الجامعية: 2025-2026

المحاضرة رقم : 02 عنوان الدّرس : سؤال التّنمية عند مالك بن نبي

1.الكفاءة المستهدفة :

أ- التعرف على مفهوم التنمية في علاقتها بالحضارة .

ب- القدرة على استيعاب مفاهيم مرتبطة بالتنمية داخل فكر مالك بن نبي مثل: (قابلية الإستعمار، الإنسان، الحضارة، الفكرة الدافعة ، الفاعلية)

ت- تحليل أسباب تعثر مشروع التنمية لدى المجتمعات المتخلفة من منظور حضاري

2.المفاهيم المفتاحية: التنمية ، الحضارة، النهضة، الوعي، ، التحرر الحضاري، الإنسان.

3.الإشكالية المحوريّة : هل تتحقّق التنمية من خلال وثبة إقتصادية قائمة على الإنتاج والثروة أم أنها مشروطة ببناء الإنسان وتفعيل عناصر الحضارة؟ وهل أزمة الحضارة لدى المجتمعات المتخلفة تتمثل في نقص الموراد أم نقص الأفكار؟

---

1. تمهيد:

لا يقدّم سؤال التنمية نفسه ضمن الطروحات الماديّة التي تتصّل بالتّفكير في إيجاد سُبل تحقيق رفاهية إقتصادية فحسب ، بل بات في ظلّ التطوّرات التقنية والفكرية حتمية وجودية تقتضي البحث عن ثورة فلسفية وثقافية ، بمقدورها منافسة النماذج الغربية التي أصبحت تتغلغل داخل الواقع العربي. ففي محاولة التأمّل في شقّ الطريق نحو تنمية حقيقية ومستدامة تحضرُ أسئلة أخرى خطيرة تتعلّق بالتقدّم والتخلف، الهوية، الوجود، التربية، الثقافة ، وهو ما يعزّز البحث عن العائق الإبستمولوجي ، أو القيمي الذي يحول دون بلوغ هذا الهدف الذي أضحى ضرورة ، تجعل العقل الغربي ينخرط في صيرورة

التاريخ الحديث. فترسيم هذا المسار ، يبدأ من تحوّل جذري من تغير بوصلة الاهتمام ، أي من خطاب نظري يتبجّل بالنمو " Growth "من حيث هو إحالة إلى كثافة كمّية، إلى ممارسة عملية تهدف إلى تحقيق التنمية ' Development " "بوصفها تغيير شامل ونوعي يمسّ جميع الميادين . وهو ما يضعنا أمام إشكالية فلسفية حرّكت الفكر العربي منذ عصر النهضة تفترض : إمّا تبني التحديث الذي يستعير الأدوات و المناهج الغربية، و إما العودة إلى الذّات وبناء مشروع من داخل الخصوصيات الهوياتية العربية: فهل يمكن تأسيس فلسفة للتنمية تنطلق من إمكانات الذّات الأصيلة دون معاداة منجزات العصر؟

1. معوقات التنمية من منظور مالك بن نبي:

ينطلق المفكّر الجزائري مالك بن نبي[1] من تحليل سؤال التنمية من صلب رؤية نقدية للتجارب التنموية الفاشلة ، ومن ثمّة البحث بشكل مقتضب عن عوامل التّخلف ، وكان على رأسها الإغتراب والإنبهار بما قدّمه الغرب من نماذج فكرية وفتوحات ثقافية . فالبراديغم الغربي اجتهد في امتصاص الهويّات المحلية وفرض الإستعمار منطقه من داخل سياسة الإنتشار الثّقافي ، ما جعل دعاة الإصلاح في الوطن العربي يعتقدون أنّ تحقيق نهضة عربية يتم من خلال استيراد أساليب التفكير الغربية ، وتطبيقها لتشخيص تخلّف الأمة العربية عن غيرها من الأمم .

إنّ هذا الإنسلاخ الهوياتي ساهم في تكريس كلّ مظاهر التّخلف الذي زعزع أركان العقل العربي، يرى مالك بن نبي أنّ مثل هذا التقليد الأعمى ساعد على صقل " قابلية الإستعمار " ، وهو المفهوم الذي يوظّفه فيلسوف الحضارة ، للإشارة إلى واقع المسلمين ، أين فضّلوا الراحة والهدوء، بدل من النّشاط والمواجهة. وهو ما غرس في النفوس العربية حالة من الإنهزامية، وهي الحالة التي لا تعود إلى المستعمر ، بقدر ما تعود إلى تقبّل المسلم للوضع الذي آل إليه.

وكان من أخطر آثار قابلية الاستعمار الانفصام الأخلاقي، حيث يتمثل المسلم أفكارا صحيحة ، إلّا أنّه للأسف غير قادر على توظيفها على أرض الواقع ، ويصبح كفريسة يمكن ابتلاعها بسهولة ، لأن المحيط الذي يتغذى منه المسلم ويكتسب من خلاله ثقافته ومحمل سلوكياته، أصبح متأثرا بالزهد الأعجمي الذي استطاع أن يروّج لأفكار تقدّمية غريبة خلخلت الضروريات والأوليات التي يجب أن يرتكز عليها المسلم ، وفي مقدّمتها الإلتزام بالقرآن الكريم ، بما يحتوي عليه من أفكار نهضوية .

1- **مالك بن نبي** مفكر جزائري (1905-1973) أحد روّاد النهضة الإسلامية في القرن العشرين، انصّبت دراساته حول البحث عن مشكلات الحضارة ، حيث ركّز في كتاباته على تشخيص أسباب تخلّف المجتمعات الإسلامية ، حيث صقل الكثير من المفاهيم الجديدة أشهرها قابلية الإستعمار ، ومعادلته الاجتماعية الحضارية (الإنسان+ التراب+ الوقت) ، وترك جمع من الأثار القيمة مثل : الظاهرة القرأنية 1946، شروط النهضة 1957، مشكلة الثقافة 1959.

يختزل مالك بن بني مظاهر التخّلف في نقاط رئيسية ، منها:

أ-غياب عالم الأفكار: يرى مالك بني نبي أن أهمية الأفكار داخل المجتمع تتخذ صورتين على الأقل، فإما أنها تؤثّر بشكل إيجابي لتكون من بين عوامل نهوض الأمة الإسلامية إجتماعيّا، وإما تصبح معضلة لها أثر سلبي تمنع تحقيق التنمية الاجتماعية ، فالنشاط الإنساني ما هو إلا إمتداد لعالم الأفكار بالسلب أو الإيجاب ، والتنمية تتوّقف على مجموع الأفكار التي يحملها أفراد المجتمع.

2- تشتّت النّسيج الاجتماعي: حيث تطغى النزعات الفردانية التي تقلب معايير القيم ، وتتصادم فيها مصالح الأفراد على حسب المصلحة العامة ، وهو ما يعجّل ببروز صراع داخلي يقضي على رؤية متكاملة وعمل متناسق، فمثل هذه الحالة من شأنها إهدار الطاقة الجماعية وارتخاء العلاقات الاجتماعية

3-التشيؤ: لا أحد ينكر دور الّأشياء المادية في سد حاجات الفرد ، فهي عند الشعوب ذات البعد الواحد معيار القوة والحضارة، غير أنّ طغيان الشيئية تجعل الشعوب يعتقدون أنّ الجهود كلها يجب أن تنصب إلى الغاية المادية ، لكن الّإنسان الجاهل يغرق في عالم الأشياء فتجعل سلوكه ماديّا صرفا. وعندئذ يفقد السيطرة على سلوكياته التي تحوّلت إلى نزعة تشيئية .

4.تناقض الأفكار والميل إلى التكديس: إنّ صراع الأفكار و فوضى التكديس السمة الغالبة لدى البلدان المتخلّفة، أين تعتقد أن الأزمة الحضارية ما هي إلّا نقص في الأشياء ، فتميل إلى تكديس أغلب الأشياء ، مثل هذا السلوك نجده ظاهرة عامة في العالم الإسلامي ، حيث يعتبر التكديس حالة مرضية و لعلّ اخطرها تكديس الأفكار دون تحويلها إلى ممارسة عملية نافعة ، فالثقافة الإسلامية تزخر بكمّ هائل من المعارف، لكنها لم تكن ناجعة ، بل كانت أحد أسباب هزائمه.

2. سبل التنمية في نظر مالك بني نبي وأسسها:

يقدّم مالك بن نبي تصوّره للمشكلات الحضارية التي لحقت بالأمة الإسلامية في ضوء النّص القرأني عينه، إذ يتبنى قول الله تعالى : (إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) (الرعد: 11) ، بحيث يجب أن يتحوّل العقل من حالة التكديس إلى دور الإنشاء والبناء ، وعلى أساس القواعد والقوانين التي تحقّق شروط نهضة إسلامية حقيقية ، ففي كتابه " الظاهرة القرآنية " يرجع إلى طبيعة النفس الإنسانية كما حدّدها القرأن الكريم، ثم يستأنف التأمل في بواعث النهضة ضمن كتابه شروط النهضة لتبيان دور الفكرة الدينية في إحداث تأثير في حركة التاريخ ، لينتهي إلى تجاوز مشروع المصلحين كما تم عرضه في القرن التاسع عشر، حيث استخدم منهجا علميا لكي يتوقّف على المثّلث الأساسي لتنمية حقيقية : " الصراع الفكري للبلاد المستعمرة "، " مشكلة الأفكار " و " مشكلة الثقافة" ، توصّل في الأخير أن أول أسس التنمية الاجتماعية ينطلق من تحديد المشكلات الاجتماعية وتشخيصها تشخيصا صحيحا ودقيقا.

إن الحضارة عنده تقوم من خلال البناء ، وهو يستوجب الوعي بالمنظومة الأولية لبناء الحضارة وتركيبتها، ويمكن حصر شروط التنمية في نسق متكامل ومتسّق يتصّل بمشكلات الحضارة نفسها :

1.مشكلة الإنسان وشروط انسجامه مع التاريخ.

2.مشكلة التراب و شروط استغلاله في العملية الاجتماعية

3.مشكلة الوقت وإعطائه روح داخل المجتمع والفرد.

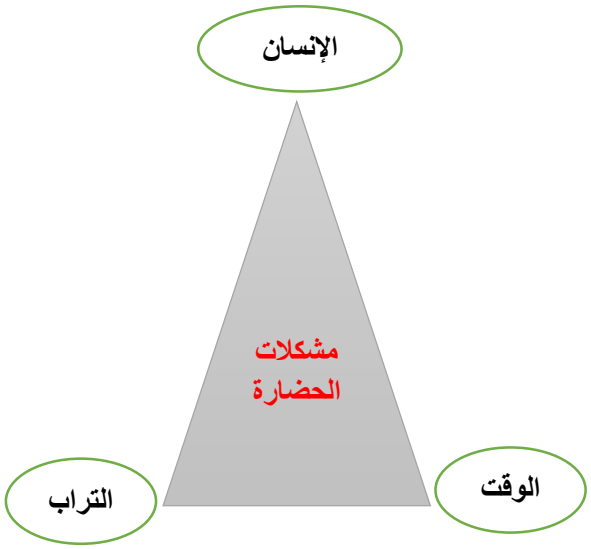

3.مقومات التنمية عند مالك بن نبي:

1.3. بناء الإنسان أولى من تحصيل الثروة : (أولوية الإنسان على الأشياء)

إن العائدات المالية والثورة المادية وحدها غير قادرة على إنتاج الحضارة الإسلامية في غياب الاهتمام بالإنسان، وعليه يجب الإستثمار في البعد الاجتماعي وبناء الإنسان النموذج الذي يحمل على عاتقه رفع لواء النهضة ، ويضرب مالك بن نبي مثال المجتمع الألماني بعد الحرب العالمية الثانية بعدما تم تدميره ماديّا، لكن كان عالم الأفكار قادرا على بعث قيمه الأخلاقية التي لازالت تنبض داخل الأمة الألمانية ..، كما اعتمدت الصين على مواردها البشرية لتحقيق نهضة شاملة، وبالتالي الإستثمار في الإنسان و القدرة على جعله صالحا، مسؤولا ، واعيا يساهم بشكل واضح في تحقيق التنمية .

2.3.الفرد ورهان التغيير الاجتماعي:

إنّ العناصر التي تؤسس التنمية التي صاغها مالك بن نبي في معادلته الاجتماعية : (إنسان+تراب+ وقت+ فكرة موجهة = حضارة) تختلف في إمكانتها من مجتمع للآخر ، فنجاح هذه المعادلة يعود إلى الحركة التاريخية والاستفادة من التجارب الشخصية عن طريق الإستثمار في المنجز الإنساني لإنجاح الخطط الاقتصادية .

3.3. بناء نسق إجتماعي شبكي:

إن الشبكة الاجتماعية تمثّل جملة العلاقات الاجتماعية الأساسية التي تخلق نوعا من الصلة الحقيقية بين الأفراد والأفكار والأشياء. والتحام هذه العوامل الثلاثة تعدّ أول حدث تاريخي يقوم به أي مجتمعه في إطار إقتصادي وسياسي ، حيث تخضع فاعلية الأفكار لشبكة العلاقات الاجتماعية كنظام مرصوص بإمكانه صياغة مشروع تنموي أصيل.

4.3. نحو إنسان غير قابل للإستعمار:

إنّ تحقيق نهضة نوعية لا يكون بتحرير المجتمع من الإستعمار الخارجي، بل تبدأ من تحرير وعي الإنسان و إعادة بنائه من الدّاخل، فالقابلية للإستعمار كما صاغها مالك بن نبي ما هي سوى حالة سيكولوجية وثقافية تجعل المجتمع مهيأ للسيطرة بسبب ضعف الوعي الحضاري وتراجع القيم وغياب الفاعلية وروح المبادرة ، فالمشروع الحضاري يقوم على تسييد إنسان جديد واع بقيمه ومدرك لهويته، قادرا على العمل والإنتاج ، متحرّر من التبعية الفكرية والثقافية ،

4.مقتضيات التنمية :

تقتضي التنمية عند مالك بني نبي جملة من الشروط والتحديات التي ينبغي على العالم الإسلامي تجاوزها لتحقيق نهضتها الحضارية . فالتنمية عنده لا يجب أن تختزل في البعد الإقتصاددي أو التقني فقط، بل يجب أن تكون عبارة عن عملية حضارية كليّة تبدأ بتصليح الإنسان وتغيير وعيه . حيث يرى مالك بن نبي أن نجاح التنمية يستوجب جملة من الرهانات الأساسية ، لعّل أهمها العمل على إيجاد آليات وأدوات تحقيق القفزة الإقتصادية لدى المجتمعات المتخلفة من خلال تأسيس سياسة تنموية تحقّق الإكتفاء الذاتي عن طريق الإعتماد على أخلقة العمل الاقتصادي والتركيز على الفلاحة لدى الدول المتخلّفة ، وهو ما يساهم كذلك في التخلص من الهيمنة الأوروبية باستغلال المواراد الطبيعية المحلية ، سواءً عن طريق التنقيب أو التحويل والتصدير . إن هذه الطريقة تقتضي تقديم الإنتاج عن الاستهلاك ، والإهتمام بذلك بفرض جهدا بعيدا عن عقلية السهولة والبحث عن الراحة.

خاتمة :

ترتبط التنمية عند مالك بن نبي ارتباطا وثيقا بمشروعه حول الحضارة ، حيث لا يمكن تحقيق تنمية حقيقية خارج إطار مشروع حضاري شامل ، فالتنمية ليست مجرد نمو إقتصادي ، بل هي حركة تهدف إلى

نقل المجتمع من الجمود والتبعية إلى الفاعلية والإبداع، لذلك كان يرفض اختزال التنمية في المؤشرات الاقتصادية ، فالحضارة تقول على بناء الإنسان وتحريك طاقاته الفكرية والأخلاقية .فالمعادلة الشهيرة التي قدمها مالك بن نبي : (الإنسان + التراب+ الوقت) تشمل على العناصر الأساسية لأي مشروع حضاري . غير أن هذه العناصر لا تتحول إلى قوّة حضارية إلا بحضور فكرة موجهة تنظمها وتمنحها قوة وفاعلية وتعطيها دلالة وغاية . وهنا، تصبح التنمية عملية تنظيم لهذه العناصر في إطار حضاري قادر على تعبئة المجتمع .